الفصل السابع والثلاثون

دموع تنهمر

الثالث من تموز عام 2010م

إنّها الدقيقة التاسعة والثمانون. يشنّ الألمان هجومًا جديدًا. يُتوَّج المجهود الذي يبذله ميروزلاف كلوزه بهدف أخير لتصبح النتيجة (0-4). يستمر ميسي في الركض من منتصف ملعب الخصم. يصل خط منتصف الملعب، يتوقف لحظة واضعًا يديه على خاصرته، ينحني متكئًا على ركبتيه. يوشك أن يُجهِش بالبكاء. لقد فقد الأرجنتيني ذو الرقم (10) بريقه، يُطأطِئ رأسه غير مصدق لما جرى. يمرّ كلوزه بجانبه مُهلِّلًا.

يغادر ميسي خافِضًا رأسه في اتجاه غرف تغيير الملابس لحظة إطلاق الحكم رافشان أرماتوف صافرة نهاية المباراة. يحاول كلّ من «الساحر» خوان سيباستيان فيرون ومدرِّب اللياقة في المنتخب فيرناندو سيغنورِيني مواساته. ثمّ يعانقه دييغو أرماندو مارادونا ويقبِّله، لكنّه (ميسي) لا يجد العزاء في ذلك كلّه. يؤكِّد الأزغب (مارادونا) لاحقًا ما تعنيه دموع ميسي التي انهمرت خلال تحدثه في المؤتمر الصحفي؛ إذ استشاط غضبًا، قائلًا: «أيّ شخص يدعي أنّه ليس فخورًا باللعب مع منتخب بلاده فهو مجرد غبي».

يشـرح سيغنوريني الوضع قائلًا: «من الصعب رؤية ميسي على تلك الحال فـي غرف تغيير الملابـس. قد يعتقد بعضهم أنّه لا يحقّ له الشعور بذلك بسبب النجاحـات التي يحقّقهـا في حياته. ولكن، لهـذا السبب تحديـدًا أجلب فتيانًا مثلـه؛ فهم يكسبون الملايين من الـدولارات، لكنّهم يجهشون بالبكاء في غرف تغيير الملابس، يُثبِت ذلك أهمية الأمر بالنسبة إليهم».

تنتهـي بطولة كأس العالَـم بالنسبة إلـى ميسـي بتلك الطريقـة المليئة بالدمـوع، والإحبـاط، والألم، والشعور بقلّـة الحيلة. غادر جنـوب إفريقيا وهو يشعر بالفراغ والتيه وتأنيب الضمير؛ إذ لم يتمكّن من تسجيل ولو هدفًا واحدًا. لقد خيّب آمال المشجعيـن الأرجنتينيين، حلم كان -لو تحقّق- ليوازي الإنجاز الـذي حقّقـه مارادونا في بطولة كأس العالَم عـام 1986م في المكسيك. وفشل فـي تأسيس ركائز لسمعة ناجحة برفقـة الألبيسيليستي. لقد غادر بطولة كأس العالَـم «خاصتـه» بعدما تعّذر عليـه الظهور بمستواه الحقيقـي؛ المستوى الذي مكّنـه من الفوز بالكـرة الذهبية، وأن يصبح النجم الأوحـد للبارسا، لكنّه الآن مجـرّد نجم خافت، شأنه شأن واين روني، وكريستيانو رونالدو، وكاكا، وفرانك ريبيري. إنّها نهاية مؤلمة لقصة بدأت على نحو مغاير...

سبعـة وأربعون هدفًا شكّلت سبعًا وأربعيـن جوهرة على التاج الذي ارتداه ميسـي في موسـم 2009م-2010م، فاز خلاله بجائزة الحـذاء الذهبي بوصفه هـدّاف البطـولات الأوروبية؛ إنجـاز لم يتمكّن أحـد من تحقيقه مـن قبلُ، ولو مـن بعيد. وتمكّن مـن التغلّب على المهاجميـنَ في كلّ من: الـدوري الإسباني، والإنجليـزي، والألماني، والإيطالي بفارق كبيـر؛ فغونزالو هيغواين يملك (27) هدفًـا فـي جعبته. أمّا دروغبـا فسجّـل (29) هدفًا، وآرين روبـن (23) هدفًا، وأنتونيو دي ناتالي (29) هدفًا.

لعب ميسي في الدوري الإسباني أفضل من أيّ لاعب آخر، وحقَّق أفضل النتائج منذ انضمامه إلى الفريق الأول قبل ست سنوات. إنّه هدّاف البطولة الذي تمكّن من تسجيل هدفين في مباراة واحدة تسع مرّات، فضلًا عن تسجيل ثلاثة أهداف (هاتريك) أربع مرّات. لقد تمكّن من تسجيل (34) هدفًا في الدوري معادلًا الرقم الذي حقّقه البرازيلي رونالدو في موسم 1996م-1997م. وتمكّن من تحطيم أحد الأرقام في سجّلات تاريخ البارسا؛ فأصبح أصغر لاعب في تاريخ النادي يتجاوز عتبة (100) هدف، متفوِّقًا على كثير من المهاجمينَ الكبار، أمثال: ريفالدو، وروماريو، وإيتو.

كانت (34) هدفًا حسمت لقب الدوري الذي حازه البارسا في المباراة الأخيرة بفوز كبير على بلد الوليد بنتيجة (0-4)، كان نصيب ميسي منها هدفيْنِ. لقد حسموا اللقب بعد صراع مرير مع الغريم التقليدي ريال مدريد الذي يقوده كريستيانو رونالدو؛ إذ جمع البارسا (99) نقطة من أصل (114) ممكنة، ما يُعَدّ رقمًا قياسيًّا جديدًا في الدوري الإسباني. لقد حاربوا بضراوة وبسالة في البطولة، مسجّلينَ (98) هدفًا، في حين استقبلت شباكهم (24) هدفًا فقط. ونجحوا في التغلّب على ريال فلورينتينو بيريث ذهابًا وإيابًا. أمّا ليو فنجح في تخطي كريستيانو رونالدو الفائز بالكرة الذهبية عام 2008م، واللاعب الأغلى في التاريخ، والنجم الأول لفريق فلورينتينو. لقد نجح الفتى القادم من روزاريو في الوصول إلى القمّة بعد الفوز بأربعة ألقاب في الدوري الإسباني خلال ست سنوات. لكنّ الأهم أنّه وصل مرحلة النضج، وأظهر شعورًا بالاتزان بوصفه لاعبًا أو إنسانًا.

يشرح الذراع الأيمن لبيب غواردیولا، تيتو فيلانوفا هذا الأمر، قائلًا: «لم يعد يحاول تسجيل هدف القرن كلّما استلم الكرة. لقد نضج وأصبح يعي أهمية

اللعب للفريق، وأخذ يؤثّر بصورة أكبر في الفرق المنافسة، وصار إيقافه الآن أكثر صعوبة».

لقد كان موسمًا مميزًا بالنسبة إلى ليو إذا استثنينا النكستيْنِ اللتيْنِ تعرّض لهما. كانت الأولى في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام 2010م، على ملعب رامون سانشيز بيثخوان، في مواجهة إشبيلية. لعب البارسا بأداء عالٍ، وقدَّم أفضل ما لديه، وصنع الفرصة تلو الأُخرى، لكنّ بالوب (حارس مرمى إشبيليه) نجح في التصدي لها جميعًا باستثناء واحدة.

وكان إشبيلية قد نجح في الإطاحة بالبارسا من بطولة كأس الملك بفضل الفوز الذي حقّقه ذهابًا بنتيجة (1-2). إنّها المرة الأولى التي يخرج فيها البارسا من بطولة في عهد بيب غواردیولا. يشعر ميسي بالانفعال، ولا تنفع كلمات المواساة التي تأتيه من زميله الأرجنتيني غابرييل ميليتو.

أوضح غواردیولا ذلك، بقوله: «لو كان شخصًا آخر لقال: «لا مشكلة»؛ ففي جعبتي كأس العالَم للأندية، ولقب الدوري المحلي»، لكنّه لا يفكِّر بتلك الطريقة. لقد كان الأكثر حزنًا من بين الجميع».

حلَّت النكسة الثانية في الثامن والعشرين من شهر نيسان عام 2010م، على ملعب كامب نو. فقد نجح إنتر مورينيو في إقصاء البارسا من دوري الأبطال بفضل مباراة دفاعية بامتياز، أدّاها بأسلوب رائع في ميدانه بميلان؛ ليخرج حامل اللقب الأوروبي من نصف النهائي، ويفشل في تحقيق مبتغاه بالوصول إلى المباراة النهائية المنوي إقامتها على ملعب البرنابيو. لم ينجح الفريق في العودة كما كان يأمل جماهيره؛ إذ ودَّع البطولة بهدف الشرف الذي أحرزه بيكيه في الدقيقة الرابعة والثمانين، هدف لا يكفي لتعويض نتيجة مباراة الذهاب

التي انتهت لمصلحة الإنتر (1-3) على ملعب سان سيرو. كانت النتيجة (0-1) في مباراة الإياب لا تكفي الفريق لحجز تذكرة الوصول إلى نهائي مدريد.

تتحطّم جهود البارسا أمام دفاع الإنتر المكوّن من (11) لاعبًا، وحتى المكوّن من (10) لاعبينَ بعد طرد تياغو موتا. لم يتمكّن ميسي الذي سجّل أربعة أهداف في مرمى آرسنال فينغر من تسجيل أيّ هدف في فريق قائده مورينيو، والحديث هنا عن تشيلسي والإنتر. لم يكن أداؤه مميَّزًا، لكنّ ذلك لم يمنع غواردیولا من الدفاع عنه، بقوله: «لا يوجد سبب لانتقاده. لقد لعبوا بستة مدافعين، اثنان منهم كانوا يراقبونه مراقبة لصيقة؛ سواء أكان في منطقة الوسط أم على الجناح». وقال مُدافِعًا عن الفريق: «لا يوجد سبب يدعوهم إلى تقديم الاعتذار بعد هذه المباراة. أنا فخور بهم جميعًا». ثمّ يُرسِل رسالة واضحة إلى المشجعين مفادها أنّه آسف لفشله في الوصول بالفريق إلى نهائي مدريد، ويعد بالمحاولة في السنة القادمة. لكن، وفي غضون ذلك يؤكّد «أنّه سيجمع شتات الفريق، ويواصلون المسيرة معًا».

وقد نجح في ذلك فعلًا؛ ففي السادس عشر من شهر أيار، أنشدت المدينة بأكملها: «نحن الأبطال، البارسا هم الأبطال». وحمل ليو الميكروفون في أثناء الاحتفالات باللقب، صارخًا: «هيّا يا أرجنتين، هيّا أيّها المجانين»، وسط عاصفة من التصفيق والأهازيج التي صدحت بها حناجر جماهير البلاوغرانا. إنّهم يريدون منه أن يلعب على نحوٍ جيد مع منتخب بلاده؛ أمنية يتمّناها أيضًا الشعب الأرجنتيني بأكمله.

يصل ميسي إلى مطار إيزيزا ببوينوس آيرس، حيث سينضم إلى معسكر المنتخب التدريبي، ثمّ يصرِّح قائلًا: «لقد حلمنا جميعًا برفع كأس العالَم. لا يتعلّق الأمر بمنحه اللاعبَ مزيدًا من الأهمية، وإنّما - ببساطة- بجعله يمرّ

بأفضل اللحظات إثارة في حياته. لقد غادرت بطولة كأس العالَم لعام 2006م، وعيوني تفيض بالدمع بعد هزيمة الفريق أمام منتخب ألمانيا. آمل أن أُغادر جنوب إفريقيا بالدموع أيضًا. ولكن، بدموع الفرح هذه المرّة». ثمّ يضيف: «اللعب برفقة المنتخب الوطني هو أمر مختلف تمامًا عنه مع برشلونة؛ نظرًا إلى ضيق الوقت الذي نقضيه هنا في التدرّب والممارسة. لا أقصد بذلك أنّ المنتخب الوطني هو الأسوأ، بل هو الأفضل في العالَم، لكنّنا لا نملك الكثير من الوقت للعمل. فكلّ شيء يحدث بسرعة؛ إذ نتجمّع مدّة يومين، ثمّ نخوض مباراة. يختلف الوضع عندما نكون في مجموعة مدّة طويلة. سنحافظ على هدوئنا ورباطة جأشنا عندما نتوجّه إلى خوض البطولة. نعلم أنّنا لسنا المرشّحين لإحراز اللقب، لكنّ ذلك أفضل بالنسبة إلينا؛ لأنّنا نستطيع وقتئذٍ إحداث المفاجآت.

يستحوذ البرغوث هذه المرّة على اهتمام وسائل الإعلام والجماهير من مختلف أنحاء العالم. حتى إنّ الزعيم الكوبي (السابق) فيديل كاسترو الذي لم يَظهر علانية منذ أربع سنوات من جرّاء المرض، أشاد بالعبقرية التي يتمتع بها ميسي. فقد وصف المهاجم الأرجنتيني في مقالة تنتقد فضائح الإمبريالية التي تنتهجها الولايات المتحدة، بعنوان «على حافة المأساة»: «إنّه سريع كالبرق، يسدِّد الكرة بسرعة خارقة؛ سواء بقدمه، أو برأسه».

واصل ميسي تسجيل النقاط فيما يخصّ المقارنة بمارادونا في الأرجنتين، على الرغم من حقيقة أنّ قلوب كثير من مواطنيه ما زالت مُعلَّقة بدييغو. وفي حال استطاع ميسي الظهور بصورة رائعة مع منتخب الأرجنتين، والعودة بكأس العالَم الذي يحلم به المشجعون منذ عام 1986م، فربّما - عندئذٍ- سيتخلّص من عباءة الأزغب إلى الأبد. مارادونا- ميسي، ميسي- مارادونا... يبدو

أنّ العلاقة بين الاثنين قد أصبحت متزنة بعدما خالطها كثير من التقلّبات والانتقادات والتصريحات المتضاربة، وكلّ الإشارات إلى عقدة أوديب.

لعب ميسي إحدى عشرة مباراة مع المنتخب منذ تولي مارادونا مهمة تدريبه، لم يتمكّن في أثنائها من تسجيل سوى ثلاثة أهداف. ثمّ تأتي أسوأ لحظاته مع الفريق في الرابع عشر من شهر تشرين الأول عام 2009م، حين يُتَّهم بعدم الاحتفال بالهدف الذي سجّله ماريو بولاتي في مرمى الأوروغواي، وهو هدف كفل للأرجنتين مكانًا في مونديال جنوب إفريقيا. ترتئي والدته سيليا التدخّل للدفاع عن ابنها، فتقول: «إنّ تحدّث الناس عنه بسوء يُسبِّب له الألم والحزن. لماذا يسعون للنيل منه دائمًا؟ إنّ هذا الأمر يؤثّر فيه كثيرًا، لدرجة أنّه يصعب عليه التعايش معه أو تقبُّله بصورة أو بأُخرى».

لا يُحسِن ليو التعامل جيدًا مع الأزمات؛ إنّه أمر يعرفه زملاؤه في برشلونة جيدًا. ومع ذلك، فهو لا يحصل على أيّ دعم من مارادونا. لقد طفح الكيل؛ ما دفعه إلى الاتصال بالمدرِّب، وإخباره بعدم رغبته في اللعب مع الألبيسيليستي بعد الآن.

اتجه مارادونا على جناح السرعة إلى برشلونة في محاولة منه لاحتواء الأزمة. وهناك، أخذ الاثنان يتحدثان إلى بعضهما بمنتهى الصراحة للمرّة الأولى. حاول المدرِّب أن يُهدِّئ من روعه، وأخبره أنّ الأمور ستكون على ما يرام من الآن فصاعدًا. لقد مثَّل ذلك اللقاء لحظة مفصلية في تحوُّل العلاقة التي تجمع الاثنين معًا.

نصَّب دييغو نفسه مُحاميًا لليو، ومُدافِعًا عنه، وأفرط في تدليله. فقد أكَّد قبل آخر المباريات الاستعدادية لبطولة كأس العالَم التي سيواجه فيها المنتخب الأرجنتيني نظيره الكندي، قائلًا: «لا أعرف رأي الناس في ليو. ولكن بمقدوري

قول وجهة نظري أنا. أعتقد أنّه الأفضل في العالَم، وأنّه أرجنتيني. لقد أخبرت اللاعبينَ فيما مضى بأنّه إذا حصل ليو على الكرة فسنوجِد الكثير من الفرص. أُحاول أن أزرع في عقولهم روح الفريق، مُذكِّرًا إيّاهم بضرورة تهيئة الظروف لميسي؛ كي يقدِّم أداءً مماثِلًا لما يقدِّمه مع البارسا. يعي ميسي أنّ زملاءه يريدون منه أن يكون جوهرة التاج، وأن يكون القائد. فآخر ما يتطلّعون إليه هو أن يلعب وحده في أثناء التدريبات أو المباريات. لا يمكنهم إمرار الكرة إليَّ بعد الآن، فقد اعتزلت اللعب... لذا، إن لم يمرِّروها إلى ميسي فستذهب جهودنا أدراج الرياح».

عمل الأزغب على حمايته والاعتناء به، ومنحه الثقة، لكنّه كان - في الوقت نفسه- حَذِرًا بسبب التجربة الشخصية التي مرَّ بها. وقد أوضح مارادونا ذلك الأمر، قائلًا: «يحظى ميسي بدعم أكبر ممّا حظيت به أنا قبل مونديال المكسيك عام 1986م. لقد توليت قيادة الهجوم آنذاك، وتحكّمت في الكرة والفريق معًا. كنت أبدأ التخطيط واللعب ليتبعني زملائي فيما بعد. لقد شرحت الموضوع لميسي كي يقوم بالدور نفسه في جنوب إفريقيا، وهو يعي الأمر جيدًا. لقد تحدثنا كثيرًا في هذا الموضوع، وأحاول التأكّد من أنّ الأمور على ما يرام».

أُخبِر اللاعبون المخضرمون في الفريق، في بداية المعسكر التدريبي، بضرورة «جعل ميسي يشعر أنّه الأفضل». ولضمان العناية به، فقد وضعه في الغرفة نفسها مع «الساحر» فيرون الذي كان مرشد ميسي في أثناء بطولة كوبا أمريكا عام 2007م. وقد أظهر كلا اللاعبيْنِ انسجامًا وتناغمًا فيما بينهما.

وقد أشار مارادونا إلى ذلك في مقابلة أجراها مع صحيفة كلارين الأرجنتينية، قائلًا: «أنا أعتني به جيدًا. الساحر لاعب مخضرم وأكثر خبرة من ليو. لكنّهما ينسجمان في الحديث، وهو أمر يسرّني كثيرًا».

بـدت ملامح الهـدوء والرضا على ليـو حينما كان يتحـدث، والظاهر أنّه أصبح جاهزًا للعب، وإحداث الفارق.

اقتـرب موعـد المبـاراة الأولى فـي مرحلـة المجموعات، حيـث ستواجه الأرجنتيـن منتخـب نيجيريـا. صرَّح مارادونـا للصحافـة، في أثنـاء المؤتمر الصحفي الذي سبق المباراة، بالآتي: «ما زال المنتخب الأرجنتيني قويًّا كسيارة رولز رويز، لكنّ الاختلاف يكمن في أنّ ميسي هو مَنْ يقودها الآن». كما ذكَّره – ببساطة- أن يكون قائدًا فذًّا، واللاعب الأبرز على مرّ العصور.

أُحيـط ميسي بهالة مـن الاهتمام والحفاوة والمديح يـوم السبت الموافق للثانـي عشر مـن شهر حزيران، على ملعـب أليس بارك فـي جوهانسبيرغ. إنّه أفضـل لاعبي المنتخب الأرجنتيني، وهو القـادر على بثّ الحماسة بين صفوف الألبيسيليستـي، ناهيك عن تفهُّمه لحاجات فريقه، والنظر إليه بوصفه اللاعب الأكثـر نشاطًا في خطّ هجوم الفريق. أينما تُولّـي وجهك تشاهده يلعب بعزيمة لا تعـرف الكلل؛ فتراه خلف المهاجميـنَ، وعلى الجناح، وعلى خطّ الهجوم. إنّه يجيد تمرير الكرات العرضية، ويصنع كثيرًا من الفرص أمام المرمى (يضيِّعها تيفيز وهيغواين)، إنّه الأكثر حماسةً، وتسديدًا على المرمى (ثماني تسديدات، أربع منها بيـن الخشبات، تصدّى لها بمهارة حارس المنتخب النيجيري ونادي ليل الفرنسي فينسينت إنياما. لقد أبلى هذا الحارس بلاءً حسنًا مكَّنه من الفوز بجائزة أفضل لاعب في المباراة.

قـال إنياما لاحقًا: «أشكر الله، ثمّ أشكر ميسـي على الفوز بالجائزة، فما قمـت به من تصـدٍّ للكرة كان بفضل الله. أنا مؤمن بالله، وعلى الرغم من أنّني درست الأهداف التي سجّلها ميسي في الدوري الإسباني، إلّا أنّني لم أكن لأنجح لـولا فضل الله. عليَّ الاعتراف أيضًا بأنّني لم أكـن لأربح الجائزة لولا منازلتي لأفضل لاعب في العالَم».

تنتهي المباراة بفوز الألبيسيليستي بهدف بعد رأسية من غابرييل هاينزه، فيندفع مارادونا في اتجاه ميسي، حاملًا إيّاه بين ذراعيه. ثمّ يضمه بشدّة إلى بزّته وربطة عنقه الثمينتين، ويقبّله بحرارة.

يُعَدّ الأرجنتيني المدرِّب الوحيد، في تاريخ بطولة كأس العالَم، الذي يُقبِّل لاعبيه بعد كلّ مباراة، أو عند كلّ تبديل، لكنّ في قبلتيه لميسي اعترافًا بالمجهود الذي بذله هذا الأخير من أجل الفريق.

يشير مارادونا، وهو يقضم تفاحة في أثناء المؤتمر الصحفي الذي أعقب المباراة، إلى أنّ «ميسي استحوذ على الكرة طوال المباراة، وأنّه كان يستمتع كلّما كانت الكرة بحوزته، ومن ثَمّ كان يمتعنا جميعًا». لم يكن الأرجنتيني الوحيد الذي يكيل المديح للبرغوث؛ فالعناوين الواردة من الأرجنتين وإسبانيا تُجمِع على أنّ ليو كان أفضل لاعب في فريقه، وأنّه هو مَنْ قاد فريقه إلى النصر؛ نصر كان من المفروض أن يكون أفضل ممّا كان. وقد أجمعت الآراء على أنّ منطقة اللعب التي خصّصها مارادونا لفتى روزاريو خلف المهاجمينَ آتت أكلها، وأنّها تشبه الموقع المثالي الذي احتلّه مارادونا أيام عزّه. في المقابل، لم ينسَ المنتقدون الخلل الواضح الذي عاناه الفريق في خطّي الدفاع والوسط، ولم ينسوا التبديلات التي أجراها المدرِّب في الدقائق الأخيرة، وتسبَّبت في معاناة الفريق. لكنّ الفريق نجح في التأهّل للدور الثاني على الأقل، بفضل الانتصار الذي حقّقه الجميع، بمَنْ فيهم ميسي بطبيعة الحال.

تستفيق الأرجنتين فرحة في اليوم اللاحق. وفي الثالث عشر من شهر حزيران، يدخل ميسي بصحبة غونزالو هيغواين إلى قاعة الصحفيين في معسكر الفريق في بريتوريا، ويقول بأسلوبه الهادئ نفسه: «لقد كانت مباراة جيدة. حظيت فيها بالكثير من حرية الحركة، وتلقّيت دعمًا كبيرًا من زملائي

فـي الفريق. كما تمكّنت من لمس الكرة بصورة أكبر. قمت بالتسديد من أمكنة أبعـد من تلك التي اعتدتهـا، وقد فضّلت ذلك مع أنّني ملكـت خيار التقدّم إلى الأمام».

وحين سأله الصحفيون عن مدى اتكال الفريق عليه، ردّ قائلًا: «الفريق لا يعتمـد عليَّ وحدي. بل على العكس؛ فأنا مَنْ يعتمد على لاعبي الوسط للحصول علـى الكـرة». لا يتصرّف ميسـي كعادته كالنجـم المطلق، ويُـردِّد دائمًا: «أنا مجـرّد لاعب فـي الفريق». من الواضح أنّـه يشعر بالسعادة مـع الفريق، ويؤكّد ذلك بقوله: «أشعر بالسعادة نفسها التي تراودني حين ألعب مع البارسا. أعرف أنّنا سنلعب بصورة أفضل من دون الضغوط التي واجهتنا في أثناء التصفيات. لقد استمتعت جدًّا في مباراتنا أمام نيجيريا».

مـن الواضح أنّ الحال قد تغيّر، وأنّ الماضي قد أصبح نسيًا منسيًّا، تمامًا كمـا نوّه بذلـك في مقابلة مع قناة تـاي سي سبورت: «لم أكـن على طبيعتي مع المنتخـب الوطني. لم أكـن ألعب بالطريقة نفسها التي ألعـب بها مع برشلونة، لقـد كان الأمر واضحًا. لكنّني دائمًا ما حظيت بالدعم من دييغو، وبفضل الثقة التـي منحنـي إيّاها زملائي في الفريـق، فقد تغيّر كلّ شـيء الآن. لقد تناسيت مـا حصل فـي أثناء التصفيات، وكنت علـى ثقة بأنّنا سنبـدأ بداية جديدة في النهائيـات. كان عليّ استغـلال ذلك. والآن، سأُظهِر للجميـع معدني الحقيقي، ويتعيّن عليَّ مواصلة ذلك. أودّ لو يشعر الأرجنتينيون حيالي بالشعور نفسه الذي أحظـى به من جمهور برشلونة. يتعيّن عليَّ مواصلـة إثبات جدارتي، وشكرًا لله على عودتي إلى الطريق الصحيح».

أَعَـدّ الأزغب مفاجأة كبيرة لليو، أخبره بها فـي غرفته قبل الموعد بيوم. شعر ميسي بسعـادة غامرة؛ فسوف يرتدي شارة القيادة أول مرّة. وبعد مباراة

شاقـة أُقيمت في أجواء باردة على ملعب بيتر موكابا في مدينة بولوكواني، تغلَّب فيها منتخب الأرجنتين على منتخب اليونان بنتيجة (0-2)؛ نجح الفريق بتحقيق انتصـاره الثالث الذي ضمن له التأهّل لدور الستة عشر في صدارة المجموعة. تحمَّل القائد وطأة المراقبة اللصيقة من باباستاثوبولس؛ إذ كان صاحب الرقم (19) يتحـرّك مع ميسي طوال المبـاراة كظلّه. وكلّما تمكّن ميسي من التخلّص منـه، وجد نفسه محاطًا بثلاثة لاعبين آخرين من المنتخب اليوناني. وفي هذه الأثنـاء، كان مارادونـا - مـن على الدكّة- يتألَّـم، وهو يشاهد تلميـذه يتعرّض للإعاقة تلو الأُخرى، وكره أن يشاهده محاصرًا بهذه الصورة.

تمكَّـن ليـو من التحـرُّر فقط بعـد الهدف الـذي سجّلـه ديميكيليس؛ فقد اتسعـت لـه مناطق اللعـب جميعها، وتمكَّن مـن إظهار معدنـه الحقيقي. فتراه يتجاوز اللاعبيـنَ، ويُسدِّد بقوة بقدمه اليسرى، لكـنّ كرته ترتطم بالقائم. ثمّ ينطلق من الجانب الأيمن عند الدقيقة الثامنة والثمانين، ويلعب الكرة بطريقة (واحـد- اثنيـن) مع دي ماريـا، مُسدِّدًا علـى القائم البعيد. ومـع أنّ الحارس تزورفاس تمكَّن من التصدي لتسديدة ميسي، لكـن المخضرم مارتن باليرمو استطـاع استغلال الكرة المرتـدة، مُسجِّلًا هدف الاطمئنـان لفريقه، وجاعلًا مارادونا في قمّة السعادة.

حَلّ يوم الرابـع والعشرين من شهر حزيران؛ إنّه عيد ميلاد ميسي الثالث والعشرون. وفيه صرَّح بالآتي: «لقد وصلت إلى ما أنا عليه اليوم بفضل ما علَّمني إيّاه مارادونا». فيعقب مارادونا قائلًا: «أشعر بالإطراء، لكنّ ليو على ما هو عليه اليـوم؛ لأنّه يريد أن يكـون كذلك. يمكنكم ملاحظة السعادة التي يشعر بها. إنّه يستمتع بوقته، ويودّ اللعب بشدّة وحماسة. لذا، أقول لكلّ مَنِ اعتقد أنّ ميسي لا يمكنه التفاعل مع المجموعة، وأنّه يبدو حزينًا دائمًا؛ : ومَنْ يحبّ الخسارة؟ لقد خسرنـا في أثناء التصفيات. لكنّ الوضع قد تغيّر الآن، والجميع يشعر بالفخر؛

لأنّهم جعلوا ميسي سعيدًا، خاصة زملاءه في الفريق». استمر مارادونا في كيل المديح، قائلًا: «لا أحد يساوي 30٪ من قيمة ميسي في بطولة كأس العالَم هذه. لا أحد يستطيع مجاراته».

يواجِه الأرجنتين المنتخب المكسيكي في دور الستة عشر، يوم السابع والعشرين من شهر حزيران، على ملعب سوكر سيتي في جوهانسبيرغ. خسر ميسي الرهان مع مارادونا؛ نظرًا إلى فشله في تسجيل أيّ هدف. لذا، قال صاحب الرقم (10) ممازحًا بعد نهاية المباراة: «يتعيّن عليَّ التسجيل في مرمى ألمانيا، وإلّا فسينتهي أمري».

تمكَّنت الأرجنتين من التغلّب على المكسيك التي يقودها المدرِّب خافيير أغيري بنتيجة (1-3) بأقل مجهود. فقد افتتح تيفيز التسجيل بهدف يبدو فيه التسلُّل واضحًا. يقول ميسي الذي هيّأ كرة الهدف الذي سجّله «الأباتشي» تيفيز بالرأس: «اعتقدت لوهلة أنّهم سيلغون الهدف؛ لأنّهم كانوا ينظرون إلى الإعادة. ولكن، لحسن الطالع فقد أقرّوا بصحة الهدف».

لا تبدو المباراة سهلة بالنسبة إلى ميسي الذي يبدو عليه الانزعاج؛ إذ تحتم عليه مرارًا العودة إلى منتصف الملعب للدخول في أجواء اللعبة. يلعب خطّ وسط الألبيسيليستي على نحوٍ سيّئ، وذلك دفع البرغوث إلى الاعتماد على نفسه، واللعب بعيدًا عن المنطقة التي يشكِّل فيها الخطر الأكبر. أشعل هذا الأمر النقاش مجدَّدًا بشأن الموقعِ الذي حُدِّد لصاحب الرقم (10)، وخطِّ وسط الفريق، والتشكيلةِ التي اختارها مارادونا. وفي ذلك، كتبت صحيفة كلارين متسائلة: «لقد وصل الفريق إلى ربع النهائي، لكنّ أبرز نجومه (ميسي) مُختفٍ عن الأنظار، كما كان عليه الحال في المباراة الأولى من دور المجموعات. فهل هو في موقع يساعده على الأداء بأفضل ما لديه؟ هل يحظى بالدعم اللازم؟».

تدعـو الصحيفة الأرجنتينية هذه إلى إحداث تغيير في خطّ الوسط؛ لمنح ميسـي الحريـة، كي لا يضطر إلـى الجري بعيـدًا عن المرمى، فهـم في نهاية المطاف لن يقوموا بوضع أفضل لاعبي العالَم على الدكّة.

جمعـت المواجهة اللاحقة منتخـب الأرجنتين بالمنتخـب الألماني الذي أقصى نظيره الإنجليزي ومدرِّبه فابيو كابيللو. ضم الفريقُ الذي يدرِّبه خواكيم لوف مجموعةً خاصة من «الماكينات» التي تتميَّز بكرة قدم متطوّرة واستعراضية، يديرهـا نخبة مـن اللاعبين المتميِّزين، مـن أمثال: مولر، وأوزيـل، وخضيرا، وكروس. إنّه فريق يجلب ذكريات سعيدة وأُخرى حزينة للأرجنتينيين: الانتصار بنتيجـة (2-3) في نهائي بطولة كأس العالَم عام 1986م في المكسيك، ودموع مارادونـا التـي انهمرت بعد الخسارة في نهائي البطولـة نفسها عام 1990م في إيطاليـا، والخسارة بركلات الترجيح في ربع نهائي هـذه البطولة عام 2006م. ستكـون الذكريات حزينة هذه المرّة أيضًا. فقد حطمت ألمانيا آمال الأرجنتين بفـوز صريح تحقَّق من لعب جماعي متميِّز فـي الأداء والمهارة. إنّه نصر مؤزَّر حقَّقـه فريق شفانشتايغـر على الأرجنتيـن التي اكتفت بالأحـلام، والحماسة، والكثير من الفوضى التكتيكية.

وبذا، فقـد فشلت خطة مارادونا التي نالت الإعجاب بإنصاف ميسي مرّة تلـو الأُخرى، وفي أكثر المباريـات أهمية. لقد حاول تنظيم اللعب وتوجيه دفّته. ولكن، باستثناء بعض الاقتحامات العقيمة، والاعتراضات الغريبة، وتسديدتين بعيدتيـن، فـلا شيء يُذكَر، سـوى القـول: إنّ شفانشتايغر وزمـلاءه نجحوا في إيقافه من دون أن يضطروا إلى ارتكاب ولو خطأ واحدًا.

خسـر ليو الكرة (12) مرّة، ولم ينجح في استعادتها، كلّ ذلك بسبب لعبه بعيـدًا عن المرمى. لقـد آلمته حقيقة أنّ زملاءه لم يمرِّروا له الكرة في المرّات

القليلـة التـي نجح فيها بالتملّص من الرقابة. لقد تُـرِك وحيدًا، معزولًا، يواجِه خطر الغرق من دون أدنى مساعدة.

سجلّـه التهديفـي يبعث على الأسى؛ فقد لعب خمـس مباريات، وسدَّد أكثر مـن أيّ لاعب آخر (ثلاثون مرّة، اثنتا عشرة منها بين الخشبات، واثنتان ردّهما القائـم)، لكنّه لم يكن محظوظًا قطّ في التسجيل. ذلك ليس أسوأ ما في الأمر؛ فمنذ مباراته الأولى أمام نيجيريا، أصبحت مكانته تتقلّص شيئًا فشيئًا. لقد عَدَّه الجميع لاعبًا خارقًا قادرًا على فعل أيّ شيء، لكنّه ظهر أمام ألمانيا لاعبًا عاديًّا. إلامَ تُعـزى هذه الكارثة؟ مَنِ المُتسبِّب فيها؟ أهـو اللاعب الذي يرقّ للمناسبة؟ أم الموقع الذي حدّده له مارادونا، تاركًا إيّاه بعيدًا عن المرمى؟ أم ربّما تشكيلة (4-1-5) التـي جازف بها مارادونا، وأثبتت فشلًا ذريعًـا أمام الألمان؟ استقر الأمر في نهاية المطاف، على عزو ذلك إلى نقص عدد لاعبي الوسط؛ فالجميع مقتنع أنّه لو كان عددهم أكبر لأتاح ذلك ظروف لعب أفضل لليو.

روت العناوينُ الصادرة في الصحف الأرجنتينية في اليوم المقبل، القصةَ على لسان كثير من الخبراء والنقّاد والمحلِّلينَ:

كلاريـن: «المنتخب الوطني يتعرّض للإذلال في بطولة كأس العالَم. أسوأ نتيجة منذ عام 1974م».

لا ناسيون: «ألمانيا تسحق الأرجنتين».

أوليه: «لا أهداف أو مجد لميسي».

بيرفل: «ميسي والأرجنتين يذرفون الدموع».

وصـف مارادونا الوضع بعد المباراة بقولـه: «إنّها أصعب لحظات حياتي، يـا لها من صدمة مؤلمـة!». أمّا ميسي فقـد لاذ بالصمت، ولـم يتمالك نفسه؛ فأجهش بالبكاء.

وبعد أيام عدّة، نشرت مدوِّنة صينية تُدعى تينسينت – على صفحتها- قولًا لميسي، جاء فيه: «ينتابني شعور سيّئ جدًّا. أريد العودة إلى البيت. لقد لعبنا بصورة مبتذلة، وخيّبنا أمل الجميع، يتعيّن علينا البدء من جديد الآن».

عندما سجّل زميله في البارسا أندرياس انيستا هدفَ الفوز الذي منح إسبانيا لقبها الأول في بطولة كأس العالَم، كان ميسي في مكان بعيدًا جدًّا عن جنوب إفريقيا. وقد حرصت عدسات مصوري المشاهير على التقاط صور له في أثناء وجوده بريو دي جانيرو برفقة صديقته، وهو مكان ليس ببعيد عن ذلك الذي سيحتضن بطولة كأس العالَم عام 2014م. سيكون ميسي في سنّ السادسة والعشرين آنذاك، وهي السنّ نفسها التي تمكَّن فيها مارادونا من الفوز بكأس العالَم عام 1986م، ونصَّب نفسه ملكًا على العالَم... مَنْ يدري؟ فربّما ينجح في التتويج حينها.